ما هو ؟
الكتاب المقدس

شوكت مقرّي
دكتور في العلوم الدينية

ما هو الكـــــــتاب المقـــد س ؟

بقلم

شـوكــت مقـــرّي

دكتور في العلوم الدينية

بيبليا
مكتبة جمعية الكتاب المقدس الدانمركية
المركز الدانمركي المسيحي عبر الثقافات
جمعيات الكتاب المقدس المتحدة

كوبنهاكـن ٢٠٠٦

Published by

BIBLIA

• The Danish Bible Society's Bookshop
Frederiksborggade 50
DK-1360 Copenhagen K
Tel. 0045 3393 7744
e-mail: biblia@biblia.dk

Tværkulturelt Center

• The Danish Intercultural Christian Centre
Ryesgade 68 C
DK-2100 Copenhagen Ø
Tel. 0045 3536 6535
e-mail: info@tvaerkulturelt-center.dk

الناشرون :

بيبليا

* مكتبة جمعية الكتاب المقدس الدانمركية

* المركز الدانمركي المسيحي عبر الثقافات

WHY THE BIBLE?

ما هو الكتاب المقدس ؟

© UNITED BIBLE SOCIETIES 2000

First published 2000
Reprinted 2006

جمعيات الكتاب المقدس المتحدة
الطبعة الأولى : ٢٠٠٠
الطبعة الثانية : ٢٠٠٦

Cover design by Imad Nissan Karyo
ISBN 87-7523-796-2

تصميم الغلاف: عماد نيسان قريو

٣

ما هو الكتاب المقدس ؟

الكتاب المقدس هو أوسع الكتب انتشارا. وهو الكتاب الذي ترجم الى أكبر عدد من اللغات وحظي بأكبر عدد من القراء عبر العالم. ومع ذلك فلا يزال هذا الكتاب غير مقدّر حق قدره إن لم يكن مجهولا من قبل عدد كبير من الرجال والنساء. والأفكار المتداولة حوله كثيرة وإن لم تكن كلها صائبة : بحجة أنه يتعذر العثور عليه أو قراءته أو فهمه ، و إنه كتاب بلغ من القدم درجة تجعله لا يثير اهتمامنا اليوم ...

والغرض من هذا المدخل الموجز الى الكتاب المقدس هو تبديد بعض هذه الأفكار وتصويب عدد آخر من الأفكار الخاطئة. وتنعقد آمالنا على أن تشجعكم قراءته على الحصول على نسخة منه إن لم تكن لديكم بالفعل. وبذلك يمكنكم أن تحكموا في الأمر بأنفسكم.

وسوف نتطرق في الصفحات التالية الى مسائل شتى تتعلق بالكتاب المقدس: مضمونه ومصدر إيحائه وتفسيره وأصالته. وهذه كلها مسائل مهمة من حيث أنها تتيح فهما أفضل لرسالة الكتاب المقدس. ومن ثم سيتناول الجزء الأخير من هذا المدخل الخطوط العريضة لتلك الرسالة.

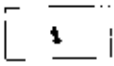

١- مضمون الكتاب :

أن الكتاب المقدس هو مجموعة من الكتب تتألف من قسمين: العهد القديم الذي كتب قبل الميلاد، والعهد الجديد الذي كتب أثناء القرن الأول الميلادي.

والعهد القديم هو الكتاب المقدس للشعب اليهودي، وكثيرا ما يطلق عليه اسم "التوراة". وهي كلمة تعني "تعليمات"، كما تعني "الشريعة" (اقرأ لو ١٦: ١٧). وتفسر كلمة "الشريعة" في هذا السياق بمعناها الواسع لتشير الى مجموع الوحي وليس الى القسم التشريعي وحده.

وفي عهد المسيح، كان الكتاب المقدس يدعى أيضا "الشريعة وتعاليم الأنبياء" (اقرأ مت ٥: ١٧؛ ٧: ١٢؛١١: ١٣؛ لو ١٦: ١٦). وفي هذه التسمية تحيل "الشريعة" على وجه التحديد الى الأسفار الخمسة الأولى للكتاب المقدس، أي أسفار موسى (اقرأ لو ١٦: ٢٩؛ ٢٤: ٢٧): التكوين والخروج واللاويين والعدد وتثنية الاشتراع. أما "تعاليم الأنبياء"، فهي تشير الى أسفار أخرى من الكتاب المقدس، مثل كتب إشعياء وأرمياء وحزقيال، لكي لا نذكر إلا أهمها. كذلك استُخدِم تعبير آخر بصدد الكتاب المقدس: "شريعة موسى وكتب الأنبياء والمزامير" (اقرأ لو ٢٤: ٤٤). وتذكر هذه التسمية صراحة ذلك الجزء من الكتاب المقدس الذي يقترن باسم الملك داود ، أي سفر المزامير. وقد فُسِّر هذا المصطلح بمعناه الواسع إذ هو يحيل، فضلا عن سفر المزامير، الى أسفار شتى يذكر منها أسفار الحكمة (أيوب والأمثال والجامعة).

وعلى ذلك فإن العهد القديم هو مجموعة الكتب التي تنسب الى موسى وداود كما تنسب الى أنبياء آخرين. وقد حررت تلك الكتب باللغة

العبرية، مع بعض المقاطع في كل من دانيال وعـزرا باللغـة الآراميـة. وقـد أصبحت تلك اللغة، القريبة مـن العبريـة، لغـة شـائعة بـين اليـهود بعـد سبيهم وإبعادهم الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد.

وترجم العهد القديم أول ما ترجم الى اللغـة اليونانيـة. وبـدأ ذلـك في مصر في القرن الثالث قبل الميلاد. وكانت الإسكندرية آنذاك مركـزا ثقافيـا هاما في عالم البحر الأبيض المتوسط وكانت اليونانية أوسع اللغات انتشاراً. لذلك عمد العلماء اليـهود النـاطقون باليونانيـة والمقيمـون بالإسـكندرية الى ترجمة كتبهم المقدسة من أجل تيسـير قراءتـها علـى معاصريـهم. وتعـرف هذه الترجمة باسـم "الترجمـة السـبعينية" بـالنظر الى نسـبتها الى سـبعين مترجماً يُدَعى أنهم أنجزوا عملهم في اثنـين وسـبعين يومـاً علـى حـين أن الترجمة الكاملة استغرقت في الحقيقة عدة قرون.

وتشمل الترجمة السبعينية كتـب العـهد القديـم الـتي كتبـت باللغـة العبرية وكذلك كتبا أخرى جميـع مخطوطاتـها مكتوبـة باللغـة اليونانيـة. والأسفار التسعة والثلاثون المكتوبة بالعبرية هي الأسفار المعروفة "بالأسـفار القانونية" حيث تعني كلمة "قانون" في المفردات المسـيحية قائمـة الكتـب التي اكتست السلطة الإلهية وتشكل نتيجة لذلك الكتـب المقدسـة. ويضـم عدد كبير من طبعات الكتاب المقدس، فضلا عن الأسفار القانونيـة أسـفاراً أخرى من الترجمـة السـبعينية. وهـذه الكتـب الـتي تعـرف بأنـها أسـفار قانونية ثانية أو منحولة هي يهوديت وطوبيّا وسـفر المكـابيين الأول وسـفر المكابيين الثاني وسفر الحكمة إويشوع بـن سـيراخ وبـاروك ورسـالة أرميـاء والنصوص اليونانية من أستير ودانيال.

ويشكل العهد الجديد، الى جـانب العـهد القديـم، الكتـاب المقـدس للمسيحيين ويطلق أحيانا على هذا القسم الثاني من الكتـاب المقـدس اسـم

"الإنجيل"، وهي كلمة يونانية معناها الحرفي "الخبر السار" أو البشارة. وفي حين أن "الإنجيل" في صيغة المفرد، يشير الى رسالة المسيح يسوع، فإن "الأناجيل"، في صيغة الجمع، هي الأسفار الأربعة التي تروي قصة حياة يسوع. وهكذا فإن إنجيل المسيح يسوع ترويه أيضا أناجيل متى ومرقس و لوقا ويوحنا، بل وترويه كذلك أسفار أخرى من العهد الجديد. ذلك أن العهد الجديد يشمل، فضلا عن الأناجيل، أعمال الرسل والرسائل ورؤيا يوحنا. ويبلغ مجموع أسفاره سبعا وعشرين سفرا مكتوبة كلها باليونانية.

ولوقا هو الوحيد من بين مؤلفي الأناجيل الأربعة الذي لم يكن في الأصل يهوديا ولم يكن يعرف يسوع المسيح. غير أن روايته تستند، كما يذكر هو نفسه في مستهل إنجيله، الى شهود عيان والى تتبعه "كل شيء من أصوله بتدقيق". ولوقا هو أيضا مؤلف سفر أعمال الرسل الذي يُستهل بذكر الرسالة التي أناطها يسوع بالرسل قبل أن يصعد الى السماء، ألا وهي أن ينقلوا الإنجيل الى جميع شعوب الأرض. ويروي سفر الأعمال كيف بُشِّر بالإنجيل من أورشليم حتى روما ، عاصمة الإمبراطورية الرومانية. وحيثما بُشِّر بالإنجيل قبله رجال ونساء كوّنوا بذلك مجتمعات مسيحية سُميت "الكنائس".

والرسائل، التي يبلغ عددها إحدى وعشرين رسالة، هي خطابات كتب معظمها رسل ليسوع يخص منهم بالذكر بولس وبطرس ويوحنا. وبوجه عام، أرسلت تلك الخطابات الى كنائس أو الى مسؤولين عن كنائس لتزويدهم بتعليم متعمق وعملي عن الإنجيل. فالواقع أنه في غضون العقود القليلة التي تلت صعود المسيح الى السماء، تأسست عدة كنائس حول البحر الأبيض المتوسط في أماكن يذكر منها فلسطين وسورية ولبنان وقبرص وآسيا الصغرى (تركيا الحالية) واليونان، وحتى إيطاليا.

وتروي رؤيا يوحنا (والمقابل اليوناني لكلمة رؤيا Apocalypse معناه "الوحي") الرؤية التي أبلغها يسوع الى أحد تلاميذه. ويشدد الكتاب على أن الإنجيل سوف يلقى على طريقه مناوأة شديدة، ويحذر أيضا شعب الله من أسباب المعاناة التي تنتظره، ويشجعه في الوقت نفسه على أن يبقي على الرجاء حياً وقوياً. فهذا الرجاء، إذ ينهض على مجيء المسيحْ الأول، سوف يتغذى على يقينه بقدومه الثاني وانتظاره له. وعلى خلاف مجيئه الأول، سيأتي المسيح هذه المرة الثانية مكللاً بالمجد لكي يرسي مملكة الله على الأرض، مملكة السلام والعدل.

٢- وحي الكتاب

ينبئنا الكتاب المقدس في فصله الأول بأن الله صنع الإنسان، رجلا كان أم امرأة، على صورته (تك ١ : ٢٦-٢٧). ويسجل الله، بإضفائه تلك المكانة على البشر، إرادته التخاطب معهم والكشف عن ذاته لهم. ويكشف الله عن نفسه من خلال عمله المبدع. وبهذا المعنى تكون الطبيعة بمثابة شاهد ينطق بمجد الله (اقرأ مز ١٩ : ١-٦). كذلك يكشف الله عن نفسه بإرساله أنبياء يتكلمون بكلام من عنده (اقرأ ٢ بط ١ : ٢١)، لكن هؤلاء الأنبياء فانون. ولكي يظل كلامه باقيا، شاء الله أن يُسجَّل كتابةً. وعلى ذلك يكون الكتاب المقدس ثمرة هذه المشيئة الإلهية. فهو كلام الله الذي أريد به أن يمكّن الإنسان من معرفة خالقه على حقيقته.

ولكن كيف كشف الله كلامه؟ إن الكتاب المقدس يعلمنا أن "الروح القدس دفع بعض الناس الى أن يتكلموا بكلام من عند الله" (٢ بط ١ : ٢١؛ اقرأ ٢ بط ١ : ١١). وبعبارة أخرى إن روح الله هي مصدر الوحي. ويصدق ذلك على الكتاب المقدس في مجموعه كما يصدق على كل

نص من نصوصه: "فالكتاب كله من وحي الله" (٢ تم ٣: ١٦). فالوحي إذن هو الفعل الذي دفع به الله الناس، من خلال روح القدس الى أن يسجلوا كلامه كتابةً. وإن هذا الفعل هو الذي جعل نصوص الكتاب المقدس جديرة بثقتنا.

ومع ذلك فإن الوحي لا يعني أن الله قد أملى كلامه. فالإنسان ليس كائنا آليا بين يدي خالقه ولا يتمثل دوره في تسجيل كلام الله كما يفعل جهاز التسجيل. آفليس الله بقادر في آن معا على أن يكشف كلامه للناس ويحترم شخصية هؤلاء الناس إن لم يعززها؟ ما من شك في أن الرد على هذا السؤال هو بالإيجاب. وعلاوة على ذلك فإن هذا هو ما يتفق تمام الاتفاق مع الكرامة التي أضفاها الله على الإنسان منذ أن خلقه. فالواقع أن من حرروا الكتاب المقدس اضطلعوا بدور نشط في التعبير عن الرسالة الإلهية إذ استعانوا بمواهبهم الفكرية واستفادوا مما كان في متناولهم من وسائل وانطلق كل منهم في الكتابة من مركز اهتمامه فكتب وفقا للمنظور الذي انفرد به.

وترتب على ذلك أن كل سفر من أسفار الكتاب المقدس يحمل الطابع المميز للفرد الذي كتبه. وليس من شأن هذا التنوع في النص المقدس أن يثير أي إشكالية بل هو على العكس من ذلك يزيد قراءته ودراسته إثراء. وتعد الأناجيل من هذه الناحية مثلا رائعا إذ بينما يصر متى على أن يسوع هو المخلص الموعود، يصوره مرقس على أنه الخادم الكامل، ويشدد لوقا على إنسانيته ورحمته بأولئك الذين يعانون، ويضع يوحنا من جانبه في مكان الصدارة مجد يسوع وحبه لتلاميذه. وواضح أن هذه اللوحات الأربع التي رسمت ليسوع ليس بينها تناقض بل هي على العكس من ذلك تساعدنا على معرفة شخصية يسوع في كل ثرائها.

كذلك وضع مؤلفو الكتاب المقدس في اعتبارهم من استهدفوهم بكتاباتهم، ووضعَهم المحدد من المجتمع ومن الثقافة ومن الدين وما الى ذلك. ولعل أروع مثل على ذلك مثل اللغة التي كتبت بها الأناجيل. فعلى حين أن لغة يسوع كانت الآرامية، فقد كتبت الأناجيل أول ما كتبت باليونانية: فبما أن الإنجيل رسالة يوجهها الله الى جميع الشعوب، كان من المهم أن تنقل تلك الرسالة بأوسع اللغات انتشارا في ذلك العصر. ومن هذا المنظور، لم يكن بأقل من ذلك أهمية أن تترجم الأناجيل في مرحلة تالية الى لغة كل شعب بعينه. والذي حدث هو أنه شرع في ترجمتها منذ القرون الأولى؛ وفي منتصف القرن الثالث كان العهد الجديد قد ترجم جزئيا الى اللاتينية والسريانية والقبطية، وهي اللغات التي كانت آنذاك مستخدمة في أوروبا الغربية وسورية ومصر على التوالي. واليوم يتجاوز الألفين عدد اللغات التي يوجد بها على الأقل سفر من أسفار الكتاب المقدس.

ويضفي هذا المفهوم للوحي على الكتاب المقدس مكانة مزدوجة: فهو كلام الله من حيث أنه صادر عنه؛ وهو أيضا كلام البشر من حيث أن أناساً نهضوا بدور نشط في تدوين الوحي الإلهي، وهم أناس اشتهر بعضهم وظل بعضهم الآخر غير معروف. وعلى حين أن عددا منهم – مثل موسى وبولس الرسول – كان يدرك أنه ناطق بلسان الله، فإن عددا آخر كان يجهل أنه يكتب بتأثير من روح القدس. وليس ذلك مهما وإنما المهم هو أن الله شاء لكلامه أن ينقل بأمانة وصدق وسهر بطرق شتى على أن يكون له ذلك.

وترتب على كون الكتاب المقدس كلام الله وكلام البشر في الوقت نفسه أن جاء كتابا قابلاً للترجمة. فهو يظل كلام الله أيا كانت اللغة التي يترجم إليها. وعلى ذلك فليس من الممكن فحسب بل ومن المرغوب

فيه أشد الرغبة أن تتوافر في كل لغة ترجمة واحدة على الأقل للكتاب المقدس. ومبدأ التوافر المحتمل لكلام الله في كل لغة أيا كانت مبدأ يبرز حقيقة بالغة الأهمية هي أن إله البشر كافة ليس إلها بعيد المنال بل هو قريب منا ويستطيع ويشاء التحدث الى كل منا بلغته التي يعرفها!

وقد امتد تحرير الكتاب المقدس على قرابة ثلاثة عشر قرنا. فقد اضطلع بذلك نحو أربعين مؤلفا بين أسفار موسى الخمسة ورؤيا يوحنا، آخر أسفار الكتاب المقدس. وتبرز هذه التعددية وحدة رسالته على نحو أفضل. وتستشف تلك الوحدة من خلال الشهادة في حق المسيح يسوع التي تتخلل كل أجزاء الكتاب: إن "شهادة يسوع هي روح النبوءة" (رؤ ١٩: ١٠) ولئن كان العهد القديم قد بشر بمجيء المسيح فإن العهد الجديد هو الذي أعلن تحقق هذه البشرى.

٣- تفسير الكتاب

تتسم بأهمية قصوى مسألة تفسير الكتاب المقدس؛ ذلك أنه لا يكفي أن يكشف الله كلامه بل يجب أن يُقرأ هذا الكلام بعناية وأناة إذا أريد سماع صوت الله.

وثمة خطر حقيقي من أن يساء فهم معنى الكتاب المقدس، ولا يكمن سبب ذلك في أن الكتاب المقدس صعب الفهم بل مرده أفكارنا المسبقة التي تمنعنا أحيانا من قراءته كما ينبغي أن يقرأ. ولعل أنصع مثل على ذلك هو أن يسوع حكم عليه بالموت باسم التوراة أو بالأحرى نتيجة لتفسير خاطئ للتوراة.

فلعل من المفيد إذن معرفة قواعد معينة لتفسير الكتاب المقدس نورد فيما يلي خمسا منها تساعدنا على الإفادة من كلام الله.

٣ ـ١ – مراعاة الفنون الأدبية

سبق لنا أن ذكرنا أن الكتاب المقدس يضم مجموعة بالغة التنوع من النصوص. والفن الأدبي الذي كتب به كل من هذه النصوص هو الذي يحدد الطابع الخاص لهذا النص المقدس أو ذاك. من ذلك مثلا أن الأناجيل تنتمي الى الفن القصصي أو الروائي، وأعمال الرسل الى الفن التاريخي، والرسائل الى الفن التعليمي (إذ هي تستهدف تعليم القارئ)؛ وتنتمي رؤيا يوحنا الى الفن الرؤيوي (إذ تتميز بالرؤى والرموز والأرقام...)، واللاويين الى فن التشريع، والأنبياء الى فن النبوءة، ونشيد الأنشاد الى فن الشعر، والأمثال الى فن الحكمة... ولا يندر علاوة على ذلك أن تجد في السفر ذاته فنونا أدبية عدة. فإنجيل متى يشتمل على أجزاء تعليمية يذكر منها الموعظة على الجبل (الفصول من ٥ الى ٧)، وعلى تعليم بالأمثال ينهض على قصص وأفعال رمزية (الفصل ١٣)، وعلى خطبة أخروية، أي تتعلق بنهاية العالم ويوم الحساب (الفصلان ٢٤ و ٢٥)، ورواية تاريخية (الفصول من ٢٦ الى ٢٨). ويجدر بالذكر كذلك المكانة الخاصة التي تحتلها المزامير في الكتاب المقدس. فالصلوات المستلهمة من هذا السفر تعد كنزا حقيقيا بالنسبة للحياة الروحية لكل مؤمن. ومع ذلك فمن البديهي أن كثيرا من هذه الصلوات يتسم بطابع زمانه إذ كان شعب إسرائيل آنذاك شعب الله فاختلط فيها ملكوت الله بمُلك إسرائيل.

وبناء على ذلك يجدر تفسير النص المقدس تبعا لفنه الأدبي. فسنتفادى مثلا إضفاء قيمة تقنينية على رواية تاريخية، الأمر الذي يجعل من مضمون تلك الرواية قاعدة تطبَّق. وهكذا فإننا إذا بُلِّغنا خطايا أنبياء معينين، مثل نوح (تك ٩ : ٢٠-٢٣)، وابراهيم (تك ١٢ : ١٠-٢٠) ولوط (تك ١٩ : ٣٠-٣٥)، وداود (٢ صم ١١)، الخ، فمن الواضح أن ذلك ليس بهدف الإساءة الى سمعة أولئك الأنبياء، وأقل من ذلك بهدف تقديمهم كقدوة تحتذي. والنص المقدس يروي هذه الخطايا لأنها ارتكبت بالفعل ومن ثم يتأكد صدقه نتيجة لأنه لا يموه الحقائق أيا كانت فظاعتها أو قدرتها على إلحاق العار بمن تنسب إليهم من الناس. ومن جهة أخرى فإن التاريخ في الكتاب المقدس له دائما بعد لاهوتي يترتب عليه أن كاتب النص يسعى من خلال التاريخ الذي يرْويه الى تزويد القارئ بتعليم روحي تفوق قيمته الدقة المتناهية للوقائع المروية. لذلك فإن النص المقدس ليس بنص تاريخي بالمعنى الضيق للعبارة وينبغي أن لا نفهمه على أنه كذلك. وفي المقابل ينطوي ذلك النص على تعليم يتعين علينا نحن اكتشافه. فالمثل الذي سقناه يتضمن تحذيرا خطيرا: إذا كان الأنبياء أنفسهم غير معصومين من الخطيئة، فنحن باعتبارنا مؤمنين عاديين أولى بالخطايا. وثمة أيضا حقيقة هامة تتعين معرفتها: فلأن يستسلم الأنبياء للخطيئة إنما يدل على أنها مترسخة في الطبيعة البشرية. وإذا كنا نبلِّغ بتلك الحقيقة فليس ذلك لكي نغرق في ظلمات اليأس وإنما لكي نحذو حذو الملك داود ونسلم أمر خلاصنا للرحمة الإلهية دون كل ما عداها (اقرأ مز ٥١؛ ٢ صم ١٢).

وكثيرا ما يستخدم الكتاب المقدس لغة مجازية ينبغي تجنب تفسيرها تفسيرا حرفيا. وعلى ذلك فإن مراعاة الفن الأدبي معناها تفسير الروايات المقدسة تبعا للأسلوب الذي ينفرد به كل منها (رمزي أو شعري

أو رؤيوي...). فالحديث عن "يد" الرب أو عن "ذراعه" إنما يقصد به التنويه بقوته. والقول بأن "أذنه لا تثقل عن السماع" مؤداه أنه متنبه دائما الى صلوات من يلجاؤن إليه (اقرأ اش ٥٩ : ١). وتقديم شعب الله في ثوب امرأة زانية إنما يقصد به عمدا صورة مثيرة للغضب قصد استرعاء الانتباه الى المدى الذي يذهب إليه حب الله لشعبه ورحمته به والى أي حد لا يستحق ذلك الشعب هذا الحب وتلك الرحمة (اقرأ حز ١٦؛ هو ١-٣). ونشيد الأنشاد هو برمته أنشودة حب تتغنى بالعلاقة بين الرجل والمرأة، وهي علاقة تبلغ من النبل ما يجعلها ترمز الى العلاقة بين الله وشعبه. أما سفر الرؤيا فهو بدوره مرصع بالأرقام والرموز و المجازات التي يتعين على القارئ أن يفك طلاسمها.

٣ـ ٢ – مراعاة السياق التاريخي

أيا كانت صفة الخلود التي يتسم بها كلام الله، فلا شك أيضا أنه يندرج في مكان وزمان معينين. وإنه لعلى ضوء هذه الظروف المحددة ينبغي قراءة النص المقدس من أجل إقرار معناه. والواقع أن الله كشف كلامه من خلال شعب إسرائيل. وقد فعل ذلك طوال التاريخ الممتد لذلك الشعب. وحرص الله، وهو المربي القدير، على إبلاغ كلامه تبعا لمراحل متعاقبة من ذلك التاريخ. وبناء على ذلك ينبغي مراعاة السياق التاريخي ونحن بصدد السعي الى تفسير النص المقدس.

وتطلعنا رسالة يسوع على تطبيق نموذجي لهذا المبدأ. ويسوع، الذي ينحدر هو نفسه من الشعب اليهودي، نادرا ما تجاوز الحدود الجغرافية لبلاده. وبينما وجد يوما في منطقة صور وصيدا (لبنان) توجهت إليه امرأة وتوسلت إليه أن يشفي ابنتها. فأجابها يسوع: "ما أرسلني الله إلا الى

الخراف الضالة من بني إسرائيل". ولنذكّر هنا بأن يسوع كان من قبل قد حصر مجال نشاط تلاميذه في أرض إسرائيل (اقرأ مت ١٠ : ٥-٦). فكيف لنا إذن أن نفهم هذا البيان الصادر عن يسوع بشأن رسالته ذاتها؟ إننا إذا أخرجناها من سياقها فمن الممكن أن تحملنا على الاعتقاد بأن رسالة يسوع قاصرة على شعب إسرائيل دون سواهم. وذلك استنتاج متسرع وربما كان خاطئا. ولكي نقف على المعنى الدقيق لبيان يسوع ينبغي أولا أن نضعه في سياقه المباشر: إذ انتهى الأمر بيسوع الى تلبية طلب المرأة الكنعانية، بل إنه أثنى أيضا على إيمانها (اقرأ مت ١٥ : ٢١-٢٨). وفي ذلك دليل على الأبعاد العالمية التي تتسم بها رسالة يسوع. ثم ينبغي بعد ذلك وضع البيان في منظور تاريخي. فبالنظر الى أن يسوع هو المخلص الذي وعد به الله إسرائيل، فقد وجه بالفعل خطابه الى الشعب اليهودي في المقام الأول. غير أنه لم يستبعد قط الغرباء من مجال رسالته، كما تشهد بذلك فيما تشهد به، القصة الرائعة التي تروي لقاءه بالمرأة السامرية (اقرأ يو ٤ : ١-٤٢). وفضلا عن ذلك، عرفت رسالة المسيح يسوع منعطفا حاسما عندما أصبح الخلاص الموعود حقيقة واقعة بموته وبعثه. وهكذا قام بنفسه، غداة بعثه، بإيفاد تلاميذه الى "جميع الأمم" اقرأ (مت ٢٨ : ١٩-٢٠) ومن ذلك الحين فصاعدا، من الممكن والواجب أن ينتشر الإنجيل في كافة أرجاء العالم لكي يُعترف بالمسيح يسوع ويُنادى به "مخلص العالم" (يو ٤ : ٤٢).

٣-٣ - إيلاء الاعتبار لتقاليد الكنيسة

إذا كان الله قد كشف كلامه للناس، فذلك لكي يهدي رعيته سواء السبيل. فمن العبث الظن بأن من الممكن أن يبين الله للناس الطريق الذي

ينبغي أن يسلكوه ثم يتركهم يضلون هذا الطريق. لذلك وعد يسوع تلاميذه بأن روح الحق (التي سيستقبلونها بعد صعوده الى السماء) سترشدهم الى الحق كله (اقرأ يو ١٦ : ١٢-١٤). وعلى هذا فثمة ما يدعونا الى الاعتقاد بأن شعب الله، أي الكنيسة في تلك الحالة، قد استطاع بفضل الإنقاذ الإلهي، أن يدرك المعنى العام للكتاب المقدس. وهكذا فإن الكنيسة، في تنوعها البالغ، تجمع على الاعتراف بأن يسوع يحتل مكانة فريدة متميزه عن الأنبياء لا نظير لها بفضل شخصيته ورسالته وأعماله.

ويجدر بناء على ذلك أن يؤخذ بأعظم قدر من الاعتبار التفسير الذي أضفاه "أهل الكتاب" على هذا الكتاب عبر القرون. فمن شأن ذلك أن يتيح درء خطر الذاتية أو الإشراقية الذي سوف تترتب عليه إرادة قوية لدى المرء لتفسير الكتاب المقدس على ضوء أفكاره الخاصة مع إغفال التقاليد الكنسية العريقة.

وعلى ذلك سنكون مخطئين بشأن موضوع بالغ الأهمية إذا نحن استخلصنا من الكتاب المقدس تعليما يكون على تناقض صارخ مع المذهب الذي أقرته الكنيسة. ولكن هل يمكن الإقرار بأن الكنيسة ربما أخطأت (ويمكن أن تخطئ مستقبلا) بشأن مسائل لا تدخل في صميم الوحي؟ إن الإجابة عن هذا السؤال هي بالإيجاب والأمثلة كثيرة من المسيحيين الذين ارتكبوا أخطاء في الحكم وضلوا السبيل الى تفسير الكتاب المقدس. وتقف الحروب الصليبية شاهداً شديد العداء للدين قدمه مسيحيون باسم المسيح الذي لم يحمل قط سلاحا للدفاع عن حقوق الله. ومن الأمثلة الأخرى إدانة الكنيسة لنظرية دوران الأرض حول الشمس التي نادى بها غاليليو. وفي عهد أقرب، أقر بعض المسيحيين في جنوب أفريقيا شرعية نظام الفصل العنصري فابتعدوا بذلك آلاف الأميال عن تعاليم المسيح بشأن حب القريب (اقرأ لو ١٠ : ٢٥-٣٧).

٣ ـ ٤ – تفسير الكتاب المقدس بالاستناد الى المقدس الكتاب

سبق أن ذكرنا أن أسفار الكتاب المقدس تتسم في تنوعها البالغ بوحدة جوهرية. وتنهض تلك الوحدة على حقيقة أن الكتاب المقدس هو أولا وقبل كل شيء كلام الله، الله الواحد الأحد. وعلى ذلك فهو ينطوي على تناسق داخلي تتعين مراعاته إذا أردنا اكتشاف الرسالة المقدسة. لذلك يتعين تفسير نصوص الكتاب المقدس كل نص على ضوء غيره من النصوص.

وتعني تلك القاعدة من الوجهة العملية أنه يتعين علينا أن لا نعتمد نهجا عقلانيا إزاء الكتاب المقدس بالنظر الى أن ذلك مؤداه إخضاع الوحي الإلهي لحكم العقل البشري. ومن شأن نهج كهذا أن يسفر، فيما يسفر عنه، عن إثارة الشك حول كل ما يتجاوز تفكيرنا أو يصطدم به – المعجزات على سبيل المثال. وعلينا أيضا أن نحذر اتباع نهج علمي صارم يؤدي بنا الى قراءة الكتاب المقدس على ضوء معارفنا العلمية. فمن جهة، ليس الكتاب المقدس كتابا علميا في جوهره، ومن جهة أخرى فإن هذه المعارف ذاتها إنما هي عرضة للتطور والتغير. وغاية الكتاب المقدس هي مساعدتنا على معرفة الله وليس العمل على تقدم العلم. وبوسع الدراسة العقلانية والأدوات العلمية، ومن واجبها، أن تساعدنا على فهم الكتاب المقدس. ومن هذه الزاوية، يكون لكل من العلم والعقل دور يؤديه. ومن جهة أخرى، فلنحترس من تفويضهما سلطة لا يحق لهما ممارستها.

وتفسير الكتاب المقدس بالاستناد الى الكتاب المقدس معناه أيضا تجنب إنشاء مذهب معين على أساس نص على حدة. كذلك معناه السعي الى تحقيق التناسق فيما بين النصوص وليس المقابلة فيما بينها. وعندما

يتعلق الأمر بموضوع معين، علينا أن نفسر النصوص الغامضة أو الصعبة على ضوء النصوص الواضحة.

ولنسق مثلا يوضح لنا تلك القاعدة. فعندما عرف يسوع أن أعداءه سرعان ما سيلقون القبض عليه، أراد أن يهيئ تلاميذه لمواجهة تلك المحنة فنبههم إليها بهذه العبارة: "من لا سيف عنده فليبع ثوبه ويشتري سيفا". فسارع التلاميذ الى تقديم سيفين الى يسوع (اقرأ لو ٢٢: ٣٥-٣٨). فهل كانوا على حق في تفسير كلام معلمهم بأنه دعوة الى حمل السلاح؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تأتينا في اللحظة التي أوشك فيها يسوع على الوقوع في قبضة أعدائه. فعندئذ استل بطرس سيفه وضرب، فتدخل يسوع على الفور بقوله: "رد سيفك الى مكانه، فمن يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك" (مت ٢٦: ٥٢). وبهذا الكلام أدان يسوع كل استخدام للقوة باسم الإنجيل، حتى في حالة الدفاع عن النفس. ويبين لنا هذا المبدأ، الذي صيغ في عبارة واضحة، أن تلاميذ يسوع كانوا مخطئين عندما فسروا كلامه على أنه دعوة الى الكفاح المسلح. ذلك أن دعوته كانت بالأحرى الى نضال روحي.

٣ ـ ٥ – استشفاف شخص يسوع المسيح فيما وراء النصوص المقدسة

إذا كان الكتاب المقدس هو كلام الله في شكل مكتوب، فإن يسوع المسيح هو كلام الله في شكل بشر (يو ١: ١-١٤). والكلام المكتوب (الكتاب المقدس) يؤدي الشهادة للكلام الحي (رؤ ١٩: ١٠)، أي للمسيح الذي هو ذاته الشاهد الصادق لله (اقرأ رؤ ١: ٢؛ ٣: ١٤). لذلك فمن الأهمية بمكان، عندما نقرأ الكتاب المقدس، أن نتذكر أن هذا الكتاب إنما هو في خدمة يسوع المسيح. ومن خلال النصوص المقدسة يتعين علينا أن

نذهب للقاء يسوع المسيح الذي هو "صورة الله الذي لا يرى" (كو ١ : ١٥؛ اقرأ ٢ كور ٤ : ٤).

وكان الغرض من التوراة التهيئة لقدوم المخلِّص. فمنذ نعومة أظفاره كانت تربط يسوع بالله علاقة حميمة. فقد بدأ منذئذ يعد نفسه للرسالة التي قال إنه تلقاها من أبيه (اقرأ لو ٢ : ٤١-٥٢). وكان من المقرر بعد ذلك أن يتقدم الى الرؤساء الدينيين لشعبه، بوصفه موضوع النبوءة: "ولو كنتم تصدقون موسى لصدقتموني، لأنه كتب فأخبر عني" (يو ٥ : ٤٦). وكان موسى قد أعلن مجيء يسوع في هذه العبارة: "يقيم لكم الرب إلهكم نبيا من بينكم، من أخوتكم بني قومكم مثلي، فاسمعوا له." (تث ١٨ : ١٥). وكان تلاميذ يسوع مقتنعين بأن معلمهم كان "هو الذي ذكره موسى في الشريعة، والأنبياء في الكتب" (يو ١ : ٤٥؛ اقرأ اع ٣: ٢٠-٢٢).

ويتسم شغل المسيح مكان الصدارة بين مواضيع الكتاب المقدس بأهمية قصوى بالنسبة لقراءة هذا الكتاب. ومؤدى ذلك بنوع خاص أنه يتعين علينا أن نقرأ العهد القديم على ضوء العهد الجديد. فوعد الله لإبراهيم قد تحقق في يسوع (اقرأ غل ٣: ١٦). والعهد الذي أبرمه الله مع شعب إسرائيل تجاوزه العهد الجديد مع يسوع (اقرأ عب ٨: ١٣). وهيكل أورشليم، مكان اللقاء بين الله وشعبه، حل محله المسيح الذي بُعث من بين الأموات (يو ٢ : ١٩-٢٢). والقربان الذي قدمه المسيح بصفة نهائية أتم قرابين العهد القديم ومن ثم وضع نهاية لها (عب ١٠ : ١٨). وملكوت المسيح، مخلص إسرائيل، وضع حدا للتيوقراطية في إسرائيل. وبعبارة أخرى، سحب الله كفالته للنظام السياسي في إسرائيل؛ فلم يعد في هذا النظام من يمثّل الله. ولم يعد هناك خلط بين ملكوت الله وبين أرض إسرائيل ولا بينه وبين أي أرض أخرى (اقرأ مت ٢٢ : ٢١). فهو ملكوت روحي يفتح أبوابه لكل شعوب الأرض (مت ٨: ١١-١٢،

٢١ : ٤٣؛ يو ١٨ : ٣٦). وهو لا يحرز تقدما بالقوة وإنما بالانضمام الحر من جانب كل فرد (اقرأ مت ٢٦ : ٥٢-٥٣).

وإنجيل يسوع المسيح يتجاوز وينسخ الشريعة الطقسية للعهد القديم فيما يتعلق مثلا بالمحرمات من الطعام (مر ٧ : ١٤-١٩). فلم تكن هذه الشريعة "إلا ظل الأمور المستقبلية" (كو ٢ : ١٦-١٧). لكن لعل الأهم من هذا كله هو أنه لأن يسوع هو في شخصه كلام الله، فإن مجيئه يجعل من العبث إرسال أنبياء من بعده (اقرأ مت ٢١ : ٣٣-٣٧). ولما كان الله قد كشف نفسه بالكامل للبشر بإرساله يسوع المسيح، فما هي جدوى إرسال أنبياء من بعده (اقرأ مت ٢١ : ٣٣-٣٧؛ عب ١ : ١-٣). أ فنحن بحاجة الى شمعة عندما يسطع ضوء الشمس؟

وهكذا تشير كل النصوص المقدسة نحو يسوع المسيح. فالعهد القديم والعهد الجديد يؤديان الشهادة له، وهو الذي يمثل كلام الله، حيا وخالداً. وعلى ذلك فليس المسيحيون أولا "أهل الكتاب" بل هم يشكلون "مجتمع كلام الله"، ذلك الكلام الذي تجسد في شخص يسوع المسيح.

ويجدر بنا أخيرا أن ننوه بوضوح الكتاب المقدس. فلو كان من المتعذر فهم رسالته، فما جدوى تنزيله؟ ولماذا كان الله يكشف كلامه لو أن البشر كانوا عاجزين عن إدراك معناه؟ إن وضوح الكتاب المقدس إنما يقف شاهدا على أن الله قد وعد بأن يكشف نفسه لمن يسعى إليه بإخلاص وصدق (تث ٤ : ٧؛ اش ٥٥ : ٦؛ ار ٢٩ : ١٣؛ مز ١٤٥ : ١٨) . ما من شك في أن الكتاب المقدس يضم نصوصا تثير مشكلة (يذكر منها مثلا سلسلتا النسب في متى ولوقا). والصعاب التي يثيرها تفسير نصوصه تكون في بعض الحالات صعابا حقيقية وتعود في حالات أكثر الى جهلنا. وهي تقتضي منا مزيدا من التواضع ومزيدا من الثقة في الله الذي أوحى تلك

الأسفار. ولا ينبغي لنا أن ندع هـذه الصعـاب تطمـس وضـوح الإنجيـل في أعيننا. فالشجرة لا ينبغي لها أن تطمس معالم الغابة!

٤ – أصالة الكتاب

في أيامنا هذه، تثار الشكوك حول أصالة الكتاب المقدس ومن ثم فعلينا أن نعرف ما إذا كانت الانتقادات الموجهـة إليـه انتقـادات جـادة أم هـي تنهض على أساس أحكام مسبقة. فمن المهم إذن أن نبحث في مدى صحة هذه الانتقادات.

وأول ما يذهب إليه التفكـير هـو أن عـدداً مـن هـذه الانتقـادات مـردّه الجهل بمعنى الوحي أو إساءة فهمه. فعندئذ لا يوضـع في الاعتبـار البعـد البشري للكتاب المقدس كما لو كان الوحي يقتضي نزول كلام اللـه حرفيـاً على من يتلقونه. وهذا التصور شبه الآلي للوحي إنما ينم عـن نظـرة ضيقـة الى اللـه وفكرة عن البشر تدعو الى الأسى.

وتنشأ حجج أخرى من إساءة تفسير الكتاب المقـدس. فلكـي ننسـب الى نصوصه المزيد من الشوائب نقدمها الى محاكمة غير منصفة إذ نخضعها لحكم العقل أو العلم أو التاريخ. أو ربما أضفينا على روايـة رمزيـة تفسـيراً حرفياً أو قد نضفي قيمة مطلقـة علـى نـص قصصـي بـدلا مـن تفسـيره في سياقه التاريخي. والجانب الأكبر من هـذه الانتقـادات لم تكـن لتقـوم لـه قائمة لو أننا حملنا أنفسنا مشقة تفسـير النصـوص المقدسـة علـى نحـو مـا نراها في واقع الأمر.

وهل ثمة احتمال لأن يكون الكتاب المقدس قد حُرِّف على مرّ القرون؟ وهل من الممكن أن يكون إنجيل المسيح قد أسيء نقله في الأناجيل الأربعة التي يأتي تحريرها النهائي بعد مرور بضعة عقود على وقوع ما ترويه من أحداث؟

وواضح أننا لا نستطيع قبليا أن نستبعد هذه الفرضية. وهي من جهة أخرى، ولأسباب عدة، فرضية قليلة الاحتمال للغاية. فهي توحي أولا بأن الله قد أخفق في نهاية المطاف في تحقيق إرادته إيصال كلامه الى البشر، الأمر الذي يتنافى مع قدرة إله الكتاب (اقرأ اش ٥٥ : ١١). ثم كيف لنا أن نظن بأن الله قد بادر الى إيحاء كلامه وهو يعلم سلفا أن كلامه لن ينقل بأمانة في آخر المطاف؟ وأخيرا، فقد أعلن الله على الملأ عزمه على أن يسهر بنفسه على سلامة كلامه بحيث يظل بمنأى عن كل تغيير (تث ٤ : ٢؛ رؤ ٢٢ : ١٨–١٩). أفلا يكون الله قد أضل البشر إن هو سمح برغم ذلك بأن يحرَّف كلامه؟ أين يكون عندئذ وفاء الله بوعده؟

يضاف الى كل هذه الأسباب أن يسوع قد ضمن بكل ما أوتي من سلطة أصالة العهد القديم: إن "زوال السماء والأرض أسهل من أن تسقط نقطة واحدة من الشريعة "(لو ١٦ : ١٧). ويتعهد يسوع بنفس القوة بكفالة دوام الإنجيل من جيل الى جيل: "السماء والأرض تزولان وكلامي لن يزول" (مت ٢٤ : ٣٥). ولنلاحظ عابرا أن يسوع لا يتردد في هذا النص في أن ينسب الى نفسه كلام الله بقوله "كلامي"، وهو ما لم يفعله أي نبي من قبل! فمن غير المنطقي إذن أن نظن في تحريف النصوص المقدسة ما دمنا نسلم بوفاء الله بوعده؛ وذلك هو أقل ما يمكننا أن نظنه بالله (تث ٧ : ٩؛ مز ١١٩ : ٨٩–٩٠، ١ بط ١ : ٢٤–٢٥)

وتؤكد أصالة الكتاب المقدس دراسة مخطوطاته. ففي سنة ١٩٤٧ اكتشفت في مغارة قُمران على شاطئ البحر الميت عدة مخطوطات يرجع تاريخها الى القرن الأول بعد الميلاد على أقصى تقدير. ومن بين هذه المخطوطات نص كامل لسفر أشعياء وأجزاء من كل الأسفار الأخرى للعهد القديم باستثناء سفر أستير. والى أن تحقق هذا الكشف، كان تاريخ أقدم مخطوطات العهد القديم يرجع الى القرن العاشر الميلادي. وتتاح لنا بذلك فرصة فريدة لم تكن تخطر لأحد على بال للتحقق من جودة نقل نصوص العهد القديم، وذلك على امتداد فترة ألف عام. ويرى جميع العلماء الذين فحصوا تلك النصوص، والذين لم يكونوا بالضرورة يهودا أو مسيحيين، أن هذا النقل قد تم بطريقة تتسم بأمانة بالغة. فالفروق النصّية، وإن كانت كثيرة نسبيا، ليس من شأنها على الإطلاق أن تلقي أي ظلال من الشك على سلامة نصوص العهد القديم.

وفيما يتعلق بالعهد الجديد، يرجع تاريخ المخطوطات الأولى من الأناجيل الى القرن الثاني. وهي موجودة في مكتبات مدن يذكر منها جنيف ومانشستر. ولدى مكتبة تشستر بيتّي في دبلن (ايرلندا) ثلاث مخطوطات من أوراق البردى تضم الجانب الأكبر من العهد الجديد؛ فتشمل المخطوطة الأولى الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل ويرجع تاريخها الى النصف الأول من القرن الثالث؛ وتضم الثانية رسائل بولس والرسالة الى العبرانيين ويرجع تاريخها الى بداية القرن الثالث؛ وتشمل الثالثة والأخيرة رؤيا يوحنا وترجع الى النصف الثاني من القرن الثالث.

وتوجد كذلك بعض مخطوطات يونانية للكتاب المقدس كله بعهديه القديم والجديد بالغة القدم أهمها المخطوطات الثلاث التالية:

* مخطوطة سيناء، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني في لندن ويرجع تاريخها الى منتصف القرن الرابع؛
* ومخطوطة الفاتيكان، وهي محفوظة بمكتبة الفاتيكان ويرجع تاريخها الى القرن الرابع وتنقصها نهاية العهد الجديد (أي من الآية ١٤، الفصل التاسع، من الرسالة الى العبرانيين الى رؤيا يوحنا)؛
* ومخطوطة الإسكندرية، وهي محفوظة بالمتحف البريطاني، ويرجع تاريخها الى القرن الخامس.

ولدينا اليوم الآلاف من مخطوطات أسفار العهد الجديد. وقد جعل عدد هذه المخطوطات وقدمها وتنوعها واختلاف منشئها الدراسة النقدية لنصوص العهد الجديد أمراً ممكناً. وأسفرت الدراسات النقدية للنصوص، التي أجراها متخصصون ذوو مؤهلات رفيعة، عن أن العهد الجديد قد حافظ على أصالته على نحو رائع. بل إنه ليمكننا التأكيد على أنه ما من مصنف مماثل من مصنفات الأزمنة القديمة أحرز كل هذا النجاح في الصمود لعوادي الزمن. ولنأخذ على سبيل المقارنة بعض أمثلة المصنفات المشهورة:

* عاش المؤرخ اليوناني ثوفيديدس في القرن الخامس قبل الميلاد، وترجع أقدم مخطوطات مصنفه "تاريخ حرب البيلوبونيز" الى القرن التاسع الميلادي. ويصدق مثل ذلك على كتب التاريخ التي صنفها هيرودوت؛
* مصنف يوليوس قيصر "عن حرب الغال" الذي كتب في القرن الأول قبل الميلاد، ظل باقيا بفضل مخطوطات يرجع تاريخ أقدمها الى القرن التاسع الميلادي؛
* من الـ ١٤٢ مجلداً من المصنف المعنون "تاريخ روما"، والتي كتبها تيت – ليف، المؤرخ الروماني الذي مات سنة ١٧ ميلادية، لم يظل باقيا منها سوى

٣٥ مجلداً. ويرجع تاريخ مخطوطة واحدة منه الى القرن الرابع، وهي علاوة على ذلك مخطوطة غير كاملة؛

* وأخيرا، فإن المؤرخ اللاتيني العظيم تاقيطس ألف مصنفين مهمين في نهاية القرن الأول الميلادي. ومن ١٤ مجلدا من مجلدات "التواريخ" لم يظل باقيا سوى ٥ مجلدات، ولم يعد لدينا من الـ ١٦ مجلدا التي تتألف منها "الحوليات" سوى ١٢ مجلدا. ولم يكن لنبأ هذين المصنفين أن يصلنا إلا بفضل مخطوطتين تعود إحداهما الى القرن التاسع، وتعود الثانية الى القرن الحادي عشر.

وما من مؤرخ جاد ينازع اليوم في أصالة أي من هذه المصنفات. ولما كانت البراهين النصّية على أصالة الكتاب المقدس أعظم وزنا من ذلك بكثير، فإن بقاء النصوص المقدسة يقف شاهدا على قدرة الله وحكمته ووفائه لكلمته. وهذا الوفاء من جانب الله لكلمته ولشعبه معناه أنه هو الذي مكن شعب إسرائيل ثم كنيسة يسوع المسيح من تمييز النصوص المقدسة، أي كلامه، بين خضم الكتابات الدينية لذلك العصر. والواقع أن دور اليهود والمسيحيين لم يكن يتمثل في البت من تلقاء أنفسهم في أي الكلام هو كلام الله وأيه ليس كلام الله، وإنما تمثل في أنهم عرفوا، بتوجيه من روح الله، ما أوحى به الله ذاته.

فرب الكتاب المقدس هو الرب الذي يقطع عهداً مع شعبه ويفي بعهده ووعوده. وهو يكشف عن نفسه من خلال كلامه " الرب إله رحيم حنون، بطيء عن الغضب وكثير المراحم والوفاء. يحفظ الرحمة لألوف الأجيال ويغفر الإثم والمعصية والخطيئة ولكنه لا يبرئ الأثيم" (خر ٣٤: ٦-٧).

٥ - رسالة الكتاب

يحتوي الكتاب المقدس أيضا على وحي الله بشأن البشر. فإذ صنع الله آدم على صورته (تك١: ٢٦-٢٧) وبلا خطيئة، طالبه بأن

يعيش في علاقة حميمة مع صانعه، ونبهه الى أن حياته إنما تتوقف على موقفه من ربه. فإن هو سلم أمره إليه في معرفة الخير من الشر، عاش، أما إذا آثر الحياة مستقلا عن ربه فسيموت ما في ذلك شك: "من جميع شجر الجنة تأكل، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. فيوم تأكل منها موتا تموت" (تك ٢: ١٦-١٧).

وعصى آدم ربه (تك ٣: ١-٧). وأدت خطيئته الى موته الروحي وأفضى موته الروحى الى موت جسده. ومنذ آدم لا يكف البشر عن الخطيئة ولا يتوقفون عن الموت. وقتل قايين هابيل وأصبح بفعله هذا أول قاتل (تك ٤). ويدل هذا الفعل على أن حياة البشر أصبحت منذ آدم موصومة بالخطيئة التي أصبحت أشبه ما يكون بطبيعة ثانية لهم لدرجة أن الأنبياء أنفسهم لم يُعْفَوا منها كما سبق ورأينا.

ولكن الله، بما أوتي من حب للبشر، لم يكن ليسلم بسقوطهم فقرر تخليصهم. فنادى إبراهيم وقدم له وعداً: سيتبارك بابراهيم كل شعوب الأرض (تك ١٢: ١-٣؛ غل ٣: ٨). ونادى موسى ووعده بمجيء نبي مثله. وسيكون هذا النبي أيضا من قوم إسرائيل(تث ١٨: ١٥). وكما فعل موسى، سيخلص ذلك النبي قومه من العبودية. وهنا تتوقف المقارنة لأن النبي المعني لن يخلص شعبه من استعباد المصريين بل من عبودية الخطيئة والموت التي سبق أن رمزت إليها مصر.

ويرتكب شعب إسرائيل، غداة خروجه من مصر، خطيئة ذات خطورة بالغة إذ صور الله في شكل عجل من ذهب. فماذا ستكون ردة فعل الله: هل سيعفو أم سيعاقب؟ ستتيح تلك اللحظة الحاسمة فرصة لنزول وحي جديد يرويه لنا النص الوارد بسفر الخروج والذي سبقت الإشارة إليه (خر ٣٤: ٦-٧). وفي هذا الوحي المهم، يكشف الله عن

نفسه لموسى بصفتين متناقضتين في الظاهر: إله رحيم يعفو عن المخطئ، وإله قدوس لا يترك الخطيئة تمر دون أن يعاقب عليها. فكيف لله أن يعفو عن الآثم ويعاقب الإثم في آن معا؟ أن يلبي نداء حبه للبشر دون أن ينال من العدالة؟ ويقدم لنا الإنجيل الإجابة عن هذا السؤال، وهي إجابة تتمثل في يسوع المسيح (ومعناه الإله المخلص) لأنه هو الذي "سيخلص شعبه من خطاياهم" (مت ١: ٢١). ومن هنا يتبين أن الله ليس واحدا فحسب (ليس هناك إله غيره)، بل هو كذلك إله فريد من نوعه (ليس هناك إله مثله). وهو فريد من حيث أنه خالق البشر ومنقذهم "أما هو أنا الرب ولا آخر؟ لا إله غيري ولا إله عادل مخلص سواي" (اش ٤٥: ٢١).

وكان الهدف من شريعة موسى تهيئة البشر لرسالة يسوع المسيح. فقد أنشأت نظاما لتقديم القرابين احتل مكانا مركزيا في العبادة في إسرائيل. ومن بين هذه القرابين قدمت ثلاثة على الأخص ابتغاء العفو عن الخطايا. تلك هي "قربان الخطيئة" (لا ٤) و "قربان التكفير" (لا ٥: ١٤-٢٦)، وخروف عيد الفصح الذي يقدم مرة في السنة إحياء لذكرى التحرر من مصر (خر ١٢). وفي يوم الغفران يقدم قوم إسرائيل كبشين: يذبح أولهما في الهيكل، أما الثاني، الذي يعرف باسم كبش الفداء، فيرسل الى البرية ويحمل رمزيا خطايا الشعب بأسره (لا ١٦). وكان الغرض من نظام القرابين هذا تعليم بني إسرائيل وتلقينهم فكرة أنه إذا كان الله لا يعاقبهم على خطاياهم على الفور، فالفضل في ذلك إنما يرجع الى قربان بديل لم يقدم بعد ويرمز له ما يقدم الآن من قرابين.

وتاريخ شعب إسرائيل حافل بالدروس. فقد كانت في متناوله شريعة الله ولكنه خالفها. ويدل ذلك على أن مشكلة الإنسان لا تتمثل في جهله مشيئة الله بقدر ما تتمثل في عجزه إن لم يكن رفضه أن يذعن لها.

ولم يكف أنبياء إسرائيل قط عن دعـوة شـعبهم الى العـودة الى اللـه. وعبثا حاولوا ذلك، والأدهى منه أن كثيرا مـن الأنبيـاء اضطـهدوا وعُذِّبـوا وانتهى بهم الأمـر الى إعـلان حكـم اللـه ضـد خطيئـة شـعبهم. فدمـرت أورشليم بما في ذلك هيكلها وأسر سكانها واقتيدوا الى بابل.

غير أن الإدانة لا يمكن أن تكون أبدا آخر كلمة تصدر عن الرب. فقد أعلن الأنبياء أيضـا أن اليـهود سـوف يعـودون مـن المنفـى ويعيـدون بنـاء مدينتهم وهيكلهم. وأعلنوا أيضا وعلى الأخص أن العودة من الأسرِ ستمهد لحدث أهم منها بكثير: قدوم المخلص. ويصف النبي أشعياء المخلص بأنه عبد اللـه الأمثل. وهذا العبد، الذي يوصف بأنه "رجـل الآلام"، سـيعذبه شعبه ويقتله. ولكن عبد اللـه سوف يحقق الهدف الأسمـى للـرب بتقديـم حياته قربانا لفداء البشر (اش ٥٢: ١٣ – ٥٣: ١٢)

وتمثلت مهمة يوحنا المعمدان، ابن زكريا، في تمهيد السبيل لمن "هـو الذي يجيء" (اقرأ مت ١١: ٣). وأعلنت بشراه حدثا جللا: "توبوا، لأن ملكوت السماوات اقترب" (مـت ٣: ٢). ومـا أن اسـتهل يوحنـا المعمـدان مهمته حتى أعلن على الملأ مقدم يسوع: "ها هو حمـل اللـه الـذي يرفـع خطيئة العالم" (يو ١: ٢٩، ٣٦)

وجمع يسوع حوله اثـني عشـر رسـولا. وتوصـل هـؤلاء بـالتدريج الى اكتشاف المخلص الموعود في معلمهم. وأعربوا عن أملهم في أنه لن يلبث أن يخلص وطنهم من المحتل الروماني (اقرأ لو ٢٤: ٢١). ولكـن يسـوع كـان يرى في مهمته أمراً يختلف عن ذلك تمام الاختـلاف: "يجـب علـى ابـن الإنسـان أن يتـألم كثـيراً... وأن يُقتَـل وفي اليـوم الثـالث يقـوم مـن بـين الأموات" (لو ٩: ٢٢). ولا يـزال تلاميـذ يسـوع يجـدون صعوبـة في فـهم السبب الذي من أجله يُقتل معلمهم، كما بدت لهم قيامته أمرا أشد عجباً

من ذلك (لو ١٨ : ٣٤)، الى أن جاء اليوم الذي قتل فيه يسوع بالفعل، أو بالأحرى الى أن جاء اليوم الذي قام فيه من بين الأموات.

ففي ذلك اليوم، ظهر يسوع فجأة وسط تلاميذه ولم يصدق هؤلاء ما رأت أعينهم بل ظنوا أنهم بصدد شبح. ويطمئنهم يسوع ويدعوهم الى لمسه ويريهم قدميه ويديه لكي يدركوا الواقع حق إدراكه: أن الإنسان الذي صُلب هو نفس الإنسان الواقف الآن أمامهم. ويغمر الفرح قلوب تلاميذه إذ لم يتصوروا قط أنهم سوف يعودون الى رؤية يسوع حيا. ومع ذلك فهذا بالضبط هو ما يشهدونه الآن (اقرأ لو ٢٤ : ٣٦-٤٣؛ يو ٢٠ : ١٩-٢٩).

ولم يظهر يسوع أمام تلاميذه لكي يدهشهم وإنما أراد أن يقنعهم بواقع موته وانبعاثه ويوضح لهم أنهما معلنان في النصوص المقدسة، كما أراد أن يسلمهم شعلة الإنجيل: ثم يقول لهم: "هذا ما جاء فيها وهو أن المسيح يتألم ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث، وتعلن باسمه بشارة التوبة لغفران الخطايا الى جميع الشعوب ابتداء من أورشليم. وأنتم شهود على ذلك..." اقرأ مت : ٢٨ ١٦-٢٠ لو ٢٤ : ٤٤-٤٨؛

وعند اللقاء الأخير بين يسوع وتلاميذه، يؤكد لهم وعداً سبق أن أعطي لهم. فعندما يصعد الى السماء، سيرسل إليهم "المعزّي" (يو ١٤ : ١٦؛ ١٥ : ٢٦؛ ١٦ : ١٣). وستتمثل رسالته في أن يكون شاهدا ليسوع ويطلع تلاميذه على الحقيقة كلها بشأنه. وسيقودهم أيضا ويساندهم في إنجاز مهمتهم الخاصة بهم. ويطلب يسوع من تلاميذه أن يبقوا في أورشليم لأنه في هذه المدينة سيتحقق وعده (لو ٢٤ : ٤٩). ومن هذه المدينة أيضا، حيث مات يسوع وبُعث، سيُحمل الإنجيل الى أركان العالم الأربعة: "ستوهبون القوة، قوة الروح القدس الذي سيحل عليكم فتكونون

شهودا في أورشليم واليهودية كلها والسامرة، حتى أقاصي الأرض" (اع ١ : ٨)

والواقع أنه بعد مضي عشرة أيام على صعود يسوع الى السماء، حل الروح القدس على تلاميذه وهم مجتمعون في أورشليم (اع ٢ : ١-٤). وكان ذلك يوم الخمسين، أحد أهم الأعياد اليهودية. وفي ذلك اليوم كان بالمدينة جمهور غفير أتى من كل الأمم المحيطة، يهود منذ الولادة وأناس اعتنقوا اليهودية، وكان العرب أيضا ممثلين بين هذه الفئة الأخيرة. ولم يكد تلاميذ يسوع يستقبلون الروح القدس حتى شرعوا في تعليم الإنجيل فلم تلبث أن تبينت ظاهرة خارقة للعادة ولها مغزاها العميق: ألا وهي أن كل فرد من أفراد الجمهور سمع (اع٢ : ٥-١٣)الإنجيل بلغته الخاصة

منذ ألفي سنة، لا يكف كلام الله عن الانتشار عبر الحدود اللغوية. واليوم، يتوافر الكتاب المقدس (كله أو جزء منه) في أكثر من ألفي لغة. ولابد أن تكون لغتك، عزيزي القارئ، واحدة من بين هذه اللغات. إن الله يحب أن يتحدث إليك بلغتك الأم، كما يتحدث والد الى ولده. أفلا تريد أن تصغي إليه؟

ما هو الكتاب المقدس؟

بقلم
شوكت مقرِّي
دكتور في العلوم الدينية

الكتاب المقدس هو أوسع الكتب انتشارا. وهو الكتاب الذي ترجم الى أكبر عدد من اللغات وحظي بأكبر عدد من القراء عبر العالم. ومع ذلك فلا يزال هذا الكتاب غير مقدّر حق قدره إن لم يكن مجهولا من قبل عدد كبير من الرجال والنساء. والأفكار المتداولة حوله كثيرة وإن لم تكن كلها صائبة: ذلك أنه يتعذر العثور عليه أو قراءته أو فهمه، وهو كتاب بلغ من القدم درجة جعلته لا يثير اهتمامنا اليوم ...

والغرض من هذا المدخل الموجز الى الكتاب المقدس هو تبديد بعض هذه الأفكار وتصويب عدد آخر من الأفكار الخاطئة. وتنعقد آمالنا على أن تشجعكم قراءته على الحصول على نسخة منه إن لم تكن لديكم بالفعل. وبذلك يمكنكم أن تحكموا في الأمر بأنفسكم.

وسوف نتطرق في الصفحات التالية الى مسائل شتى تتعلق بالكتاب المقدس: مضمونه ومصدر إيحائه وتفسيره وأصالته. وهذه كلها مسائل مهمة من حيث أنها تتيح فهما أفضل لرسالة الكتاب المقدس. ومن ثم سيتناول الجزء الأخير من هذا المدخل الخطوط العريضة لتلك الرسالة.

دار الكتاب المقدس

Tvær-
KulturelT
CENTER
المركز الدانمركي المسيحي عبر الثقافات

BIBLIA
دار الكتاب المقدس الدانمركية